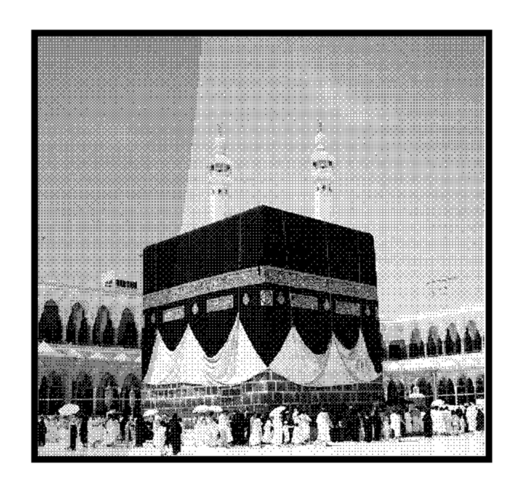
الطريق إلى مكة



شعر:

دكتور / صلاح عدس



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٦٧٤
tokoboko_5@yahoo.com

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: الطريق إلى مكة

تـــــأليف : دكتور صلاح عدس

رقم الإيداع:

الطبعه الاولى ٢٠١٣

مكتبة جزيرة الورد

القاهـــرة : ٤ ميــــدان حليــم خلــف بنـــك فيصــــل
ش ٢٦ يوليو ميدان الاوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokopoko_2@yahoo.com

كلمات الإمام الغزالي في محنة الشَّك

يا سيدي أين الطريقْ؟؟؟
فلقد ضللتْ
ولقد مللتْ
من بعد ما أخرجتني
وطردتني
وتركتني
لأجوب صحراء الحياة إلى الأبدْ
من غير زادْ
وبدون قصدْ
وبلا رفيقْ
والذنب في قلبي حريقْ
يا سيدي أين الطريقْ؟
قد قلت أنى
سوف أبقى تائهًا
حتى تعودْ
فمتى تعودْ
أنا في انتظارك سيدي
لتخلّص القلبَ الجريح
في آخر الزمن الكسيح
كما وعدتْ
فلقد تعبتْ
يا سيدي أين الطريق؟؟؟

* * *

إبراهيم يبحث عن الله (*)

ومضيت
تائها وحدي ما بين القفار
فإذا الشمس التي كانت إلـها بالنهار
تحتضر
وإذا النجمة تفنى في المساء
وإذا البدر تهاوى في الفضاء
كل ما كان مضيئًا للبشر
هذه الليلة يخبو في عيوني
وفؤادي لا يحب الآفلين
فإلـهي غير أصنام البشر
يا خلاصي
أين أنت
مد لي الآن يديك
قبل أن يأتي الظلام

* * *

(*) تم نشرها بمجلة الثقافة - ديسمبر سنة ١٩٧٥.

البحث عن أب

ورحلتُ وراء الآفاقْ
أبعد من " واق الواقْ "
وقصدت معابد كل البلدانْ
وسألت جميع الكُهَّانْ
حتى تهتْ
بين ضباب الغاباتْ
والظلماتْ..
وسألتُ.. سألتْ
قالوا: من أنتْ؟
وتحيَّرتْ
أنا كلٌّ منكم يا أحبابْ
أبحث عن أبْ
وسألت الناسْ
- أين أبي؟
قالوا: - لا ندري.
قالوا: - في " مكة ".. في " ممفيسْ "
في بلد لم تطلع فيه الشمسْ
- أترى كان أبي سلطانًا عربيًا
أم ملكا فرعونيًا
قالوا: بل كان أبوك بالأمسْ
يملأ كل الدنيا أمجادًا وبطولاتْ

لكن ما عاد إلى بلدهْ

قالوا خطفته الجنيِّةْ

حبسته في كهف مهجور

- أبتاه أحيٌّ أنت

كيما أنتظرك

فالغرباء اقتحموا بيتكْ

وعلى مائدتكْ

شربوا دمكَ

وأكلوا لحمكْ

وبأيديهم شرَكٌ لامرأتك

والسِّكين لولدكْ

وأنا ما زلت أطوف بأركان الدنيا

وسط الظلماتْ

أبحث عنك...

* * *

محنة الشاعر " امرئ القيس "

أموتُ كل يومْ
أموت في مقاعد الترام.. في الزحامْ
في المجيء والرواحْ
أموت في جريدة الصباحْ
وما يعادُ في جريدة المساء من جراحْ
وما يقوله المذياع و" التلفاز " من غُثاءْ
أموت في الصحراءْ
دونما رفيق
و " قيصر " لم يستجب لصرختي
ولن يهب واحد لنجدتي
أموت كل يوم
وجثة الأب القتيل فوق كاهلي
عجزتُ أن أنال ثأره لأنكم
لأنكم مجوفون..

* * *

مذكرات مؤمن في " سادوم " (*)

قالت أراك في صباح غدْ..
وعندما أتيتُ بالورودْ..
وجدتُ لا أحدْ..
وعندما مددت ساعدي لعابر كسيح..
رأيتهم تغامزوا.. تضاحكوا..
وعندما أردت أن أخلص الأسيرة..
من قبضة اللصوص..
رأيتهم قد مزقوا ثيابي البريئة..
وسرت في الطريق عاريًا محطمًا..
وعندما أردت أن أقول: لا
مدافعًا عن الفضيلة
رأيتهم تصايحوا مهللين للرذيلة
فلتطردوه خارج المدينة..
سمعتهم يهمهمون:
[أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون]
وعندما رجعت في المساءْ..
والشمس والأضواء كلها تموتْ..
سمعتُ صرخة استغاثة..
رفعتُ سيفي البتارْ..
ضربتُ باليمين واليسار..
فما الذي رأيت؟!..
طاحونة الهواء!!
وها أنا على الثرى جريح..
عرفت أنني المحارب الوحيد..

(*) تم نشرها بمجلة الجديد مارس سنة ١٩٧٢.

في عالم لا يعرف الرجال والقتال..
عرفت أنني أطارد الأشباح..
وأضرب العنقاء بالرماح..
في عالم مهجور..
جدرانه تنهار..

* * *

مأساة " الحاكم بأمر الله "

حملتُ معولي وسرتُ ذات يومْ
مسافرًا إلى النجومْ
كي أُحضر القمرْ..
رحلتُ دون زادْ
ودنما رجالْ
كيما أهدَّ حائط المحالْ
ظللتُ سائرًا في البحرْ
حتى أرى جزيرة الأحلامْ
حيثُ النور يغمر البشرْ
وحيثُ يملك الإنسانُ كل شيءْ
لا موت.. لا عذاب.. لا خطر
لكنني تعبتْ
من كثرة الترحال والسَّفرْ
وحائطُ المحال لم يزل هناك شامخًا
يسد حافة الأفقْ
ويغلق الطرقْ
كأنما يهزأ بي
وحينما نظرت في المرآة آخر المطافْ
ما وجدت معولي
مددتُ ساعدي
فما وجدت غيري
يمد ساعده
حطمت هذه المرآة
فما الذي رأيتْ
دمي
دمي هو الذي يسيل
بكيتْ..
أنا الذي انتهيتْ...

* * *

سندباد في مدينة النحاس

أسير في مدينة النحاسْ
لا شيء غير الصمت يخنق الجميعْ
ضحكتُ علَّهم..
فلم أجد على الوجوه الابتسامْ
وقلت: أيها الرفاقْ
إنني أهديكم السلامْ
لكنني لم أسمع الإجابةْ..
طرقتُ كل بابْ
وقلت إنني أحبكمْ
فما سمعتُ دعوة تُجابْ
فصحتُ: بلْ أُدينكم
فما سمعتُ رد الاتهامْ
الكلُّ صامتونْ
جامدونْ
" خُشبٌ مسنَّدة "
فكلهم قد صيغ من نحاس
ولم يعد هناك في عروقهم دماء
بكيتْ
وقعت مجهدًا
صرختُ: لا
فما سمعت غير ذلك الصدى
يقول ما قد قلتُ: لا

* * *

في انتظار صلاح الدين (*)

ولبست رداء الصبر
ورأيتك في شباك الزمن المفقود
تُطلِّين
- ماذا تنتظرين؟
قالت لي أعينك المهزومة
يا بلدي المحزونة
رغم الليل المعقود على رأسك
ليس له صبحْ
رغم الجرحْ
- أنتظر العائدْ
القادم فوق جياد الغدْ
أنتظر الغائب خلف الشمس
أنتظر صلاح الدين
قلت لها:
- هل حقا.. سيعود صلاح الدين
أم أن علينا يا أماه
أن نطرد كل الأعداء من دارك
أن ندفنهم تحت ترابك
أن نخلع عنك رداء الصبر
فالخنجر في الصدر
الخنجر في الصدر

* * *

(*) مجلة الجديد ١ مايو سنة ١٩٧٢.

إسرافيل . . .

سمعت صوتًا يرنُّ في البريَّةْ
كصوت إسرافيل ينشد النهاية
والكل صامتون ميتون
الكل في إغماءة الجنون والسكون
وعندما أفقت
رأيتني أصيح
كالطائر الذبيح
- يا أيها الملاك.. يا أيها الملاك
إذا هو الهلاك
فقال: - لا
بل نفخة في الصور
وبعدها النشور
سألته: متى إذا تكون هذه القيامة؟
يا أمتي، متى تكون هذه القيامة؟؟

* * *

حوار بين يوسف وفرعون

- ماذا تبصر في حلمك يا مولاي الفرعونْ؟
- اللون الأسود يتبلع جميع الألوانْ
لم تنبت سنبلة خضراءْ
لا شيء سوى رمل وصخورْ
رمل وصخورْ
لا قطرة ماءْ
نتجرعها في وهج الصحراءْ
السنوات عجافْ
في هذا الزمن الأعمى
تعلو رايات اللاَّ إنصاف
ما قولك يا صدِّيق؟
- إني أبصر خلف ظلام الليل
أبصر في كل جبين نور الصبح
أبصر في كل فم حبات القمح

* * *

يعقوب يحدثنا عن يوسف

وبكيتُ.. بكيتْ
حتى انطفأ النور بعينىّ
لم يبق حواليّ
إلا الظلماتْ
إلا الأشرارْ
الكذبة والفجَّار
تمتلأ بهم كل الطرقات
جاؤوا بقميص فيه دم كاذبْ
واتهموا الذئبْ
ضاع الصدِّيق.. ضاع الخيرْ
دفنوه في أعماق البئر
وسط الصحراء
والبئر هو الآخر قد جفّ
- يوسفْ... يوسفْ
أصرخ وأصيحْ
ويجيء صدى صوتي يحمله الريحْ
يوسف.. يوسف قد ضاعْ
لم يبق سوى كذب وخداع
والدمعْ
الدمع سأسكبه وأنا أحلم
أن يرجع يوسف في عام من ذات الأعوام
فيعيد النور إلى العينين
ويعيد القمح إلى الشفتين.. الجائعتين
فالسنوات عجاف
لكني أحلم
أحلم أن يظهر يوسف

* * *

توبة " عبد الله بن أبي سرح "

أتيتُ والمساءْ
يلفُّ بالسواد كلَّ شيءْ
ويخنق النجوم في السماءْ
أتيتُ بعد أن غرقتُ " تحت موجْ
من فوقه موجْ
من فوقه سحابْ
ظلماتْ.. بعضها فوق بعضها "
حتى يدى رفعتها
فما رأيتها...
أتيتُ جائعًا مهلهل الرداءْ
يهدّني الظمأ
أتيت مثل منْ [تخطَّفه الطير
أو تهوي به الريح في مكان سحيق]
لكنما في القلب ينبتُ الرجاءْ
قد جاء بي " عثمانْ "
يشفع لي
أتيت مثل شاةٍ شاردة
تعود للراعي الرحيم
أتيت مثل " الابن الضال "
عائدًا منكّس الهامة
تخنقه الأحزان والندامة
يا أيها الأب الكريم أدق بابك العظيم
يا أيها النبي
أتيت ضائعًا مشردًا
كيما تمدَّ لي يدا
أتيتُ ضارعًا والجرح ينزفْ

والعار فوق هامتي يرفّ
أتيت أعترفْ
بكل ما أتاه جيلنا وما اقترفْ
كذبتُ..
قعدتُ وقت الضرب والطعان
لكننا جئناك نطلب الغفرانْ.. من ربك الرحمنْ
يا أيها النبي

* * *

الطريق إلى مكة

كانت في قريتنا صفصافةٌ
تلثم وجه الترعةْ
تمتد حواليها الخضرة
حتى تحتضن الأفقْ
والطير الأبيض يبني فيها أعشاشهْ
يسقيها ألحانهْ
وحواليها كنا نلهو نحن الصبيةْ
ونجرجر أثواب النسمةْ
ونطرزها بالضحكة والبسمةْ
كان أبي يجلس في ظل الشجرة
ويصلي ركعاتْ لله
وإذا ما جئنا عندهْ
كان يقصي علينا ما فعل الأنصارْ
مع من هاجرْ
يحكي عما فعل رسول الله
مع أسراه
في " بدر "
يحكي عما فعل مع الكفار
يوم الفتح الأكبر
كان أبي يجلس في ظل الشجرة
ويعلمنا كيف يكون الود
وكيف تكون الرحمةْ...
كانت صفصافة قريتنا
كطفولتنا .. عذبةٌ
لكن جاء الإعصار
جاء الأشرار

كسروا الصفصافةَ
وانجرفت خلف التيَّارْ
وكما ضاعت أيام طفولتنا
ضاعت صفصافة قريتنا
لكني اليوم.. عدت إلى القرية
فرأيت هنالك عند الترعة
عند الساقية المهجورة
وسط الأرض الجرداء المحزونة
أبصرت هنالك
أغصان الصفصافة تخضرّ
وستورق وستزهرْ
حين يطل الفجرْ فتذكرت أبي إذا قالَ
بأن جذور الصفصافة سحرية
تمتد إلى مكةَ
تحت الكعبةَ
وسمعت أبي من خلف الأفق يصيح:
يا أبناء القرية
عودوا
لكن في هذه المرَّةْ
فليرفع كل منا سيفهُ
كي نحمي الشجرةْ
في " بدر " وفي " أحد " و " مؤتةَ "
* * *

سفينة " نوح "

ما زال على البعد شراعْ
فسفينة نوح تمضي من غير وداع
حملت كلَّ الأخيارْ
لم يبق على الأرض سوى الفُجَّارْ
يا نوح..
كادت تبلعنا الأمطارْ
والإعصارْ
يُسقط كل الجدرانْ
ويكادُ يشيب الولدانْ
واسودت كل الآفاقْ
خذنا معك من الناجينْ
أترى يلمحنا البحارة
فيعودون
أترى ينحسر الطوفان

* * *

اعترافات " سندباد "

عقَّرنا وجهك يا بلدي بتراب الدهر
لكنيّ الآن.. أتضرع لله
أطلب غفرانه
كان مرادي
أن أحضر لك دُرر العالم.. يا بلدي
وأحليِّ جيدك بالياقوت
لكنَّ المجداف تحطم
مزّقت الريحُ شراعي
حطمت القارب
مات رجالي في العاصفة السوداء
قذفت بي الأمواج إلى شط مهجور
وفقدتُ طريقي
لم أعرف كيف أعود إليك.. يا بلدي
وبأي الكلمات سألقاك.. يا بلدي
.. عذرًا.. عذرًا

* * *

أهل الكهف (*)

أكفان الصمت معلقة فوق الجدران
والظلمة سدت باب الكهف
لا أحد سيعرف
هل مرت سنة أم ألف
فالزمن توقف
أحياء لكن مدفونون
وإذا بالزلزال يهز جدار الكهف
إعصار بالخارج لا يتوقف
فتحوا أعينهم
لكم لم يعرف أحد كيف يكلم صاحبه
صدئت كل الكلمات مات الحرف
وابتلع الصمت الكهف
قالوا من غير كلام
نبغي خبز الأيام
لكن لم يجرؤ أحد أن يخرج
خوفًا من " دقيانوس "
ومشانقه المنصوبة في الطرقات
ومضت لحظات
وانتشرت جثث الكلمات
ثم مضى أهل الكهف
مسبحة في الكف
وعلى الرأس عمامه
وعلى الأصدغ وشم حمامه
قصدوا السوق حيارى

(*) تم نشرها بمجلة الآداب البيروتية مايو سنة ١٩٦٩.

غرباء محزونين
كي يبتاعوا خبزًا
لكن ليس هنالك سوق
ليس هنالك خبازون
ما عرفوا حتى ضوء الشمس
لم تبصر أعينهم طرقات
لا شيء حواليهم غير الآلات
تاهوا وسط ضجيج العجلات
- ماذا... أو هذا عصر الآلات؟
وتساءل واحدهم وهو يقلب بين يديه
دراهم ذهبية
فتفجر صوت تخنقه الضحكات
من خلف الآلات: - عجبا ما زالت صورة فرعون
على العملات الصدئه
يا لله
ماذا تبغون؟
فدراهمكم ما عادت تصلح في هذي الأيام
- نبغي خبزا
- لا خبز لكم في هذا العصر
حتى يخلع كل منكم ثوبه
ويمد يديه إلى الأفق
لينزع فجره
يا أهل الكهف
أفيقوا يا أهل الكهف

* * *

يأجوج ومأجوج والمهدي المنتظر

يأجوج ومأجوج رأيتهما
خرجا من خلف الجبل المسحورْ
هدما السُّورْ
الفاصل بين الظلمة والنور
حرقا الزرع
غرسا في وجه الأرض الأشواك
ولقد دقَّا أبوابك يا بلدي
هل يأتي الغرباء إليك ونبقى مكتوفي الأيدي
يا ذات الثوب الأخضر.. يا بلدي
قالت: - إني أنتظر المهدي
- لكن هل يأتي المهدي يا سادة
فلقد قتلوهْ
قتلوه على شاطئ دجلةْ
صلبوه على " تمثال الحرية "
دفنوه في " واشنطون "
ماذا تنتظرون الآن.. ماذا تنتظرون
* * *

الجنة تحت ظلال السيوف (*)

قل يا عراف مدينتنا
قل يا عراف..
ما لسفينتنا لا تمشي في البحر..
ولماذا لا يجدي المجداف..
ولماذا تخذلنا الريح..
هل غضب الله علينا
قال العراف:
بل إن أياديكم مشلوله..
ولأن سفينتكم مثقوبه..
غاصت في الأوحال..
وتنهَّد ثم أضافْ: -
فليرفع كل منا سيفه
وليخرج كل منا شيطانه.. من داره..
ويقدم بين يديه القربان.

* * *

(*) تم نشرها بمجلة المجلة مارس ١٩٧١.

عمرو بن العاص

عجلات الزمن المقهورة
تزحف في بطء كالكابوسْ.. وتدوسْ
بسمات الأطفال وكل الأزهار
وكل الأحلام تدوسْ
والرومانْ.. هدموا الأسوار
نصبوا في كل طريق مشنقة
وصليبًا في كل جدارْ
والصمتُ حوالينا يخنق كل الأشياءْ
لكني أسمع خلف الصمت نداء العرب الأحرار
أسمع قعقعة سيوف قريش
ألمح خلف ضباب الأفق
صورة عمرو بن العاص
يتبعه أصحاب رسول الله
يحمل في يده قرص الشمس
ليضيء ظلام الدنيا بالعدل وبالحرية

* * *

" رابعة العدوية " في طرقات البصرة

" البصرةْ "... ديارها قبورْ
تآكلت من العفنْ
وكل من يسير في الطريق ميِّتٌ بلا كفنْ
و " رابعةٌ ".. في الليل بين هذه القبور
قد مزقت ثيابها الكلابْ
وعفَّر التراب وجهها
سألتها: تراك ماذا تفعلين؟!!!
أتبحثين عن ملاك الخير في الخرائب؟!!
وتبتغين قصره الجميل
بين هذه الأطلال
بكت تقولْ: - قد مات
ولم يعد هناكْ
سوى اللصوص والقوَّاد والنخَّاس في الحانات
سوى التجار والأشرار
أجبتها: - يا رابعةْ
أيتها الزاهدة المسكينةْ
عبثا دموعك الحزينة
عبثا ما تفعلينه
الآن.. إبليس يحكم المدينةْ
- فهل سيطلع الصباح ذات يومْ
ونسمع النداء فوق المئذنةْ
ويهرع الرجال للصلاةْ.. تائبين
* * *

العودة إلى مكة (*)

" وتخدَّرتْ على منضدة العملياتْ "
كالشمس الغاربة إذا رقدت عند الأفق
ليغطيها الليل الآتي
لكنَّ المبضعْ
لا يقطعْ
وا أسفاهْ
ووقفنا حولك نبكي يا أمَّاهْ
قد جاء إليك طبيب من " موسكو "
وطبيب من " واشنطون "
وحكيم من أرض الصين
لكنْ.. عجز الكل
فالداء دفين
الداء دفين يا بلدي.. الداء دفين
عرفته روما من قبل
وآشور وبابل
وبلاد الفينقيين
ورأيتك يا " عمرو بن العاص "
آت في يديك الشمس
يا فارس كل الأزمان
يا من جئت بما يشفي بنت السلطان
لمَّا حار جميع الحكماء
ورأيتك تصرخ عند الفسطاط
قومي يا أماه
فأطباؤك دجالون

(*) بيت شعري مشهور للشاعر ت. س. إليوت.

قومي
وأديري وجهك يا أماه إلى مكة
فدواؤك مدفون تحت الكعبة
تحت الكعبةْ...

* * *

نداء إلى السلطان بيبرس

انهض من قبرك
وارفع سيفك
واشهد ما حلَّ بقومك
ذبحوا أبناءك في القدس
ذبحوا أبناءك في بيروت
لكنا لا ندري شيئًا عن مذبحة الغدْ
وأين تكون
فالسِّكين التتريةْ
لا تعرف فرقًا ما بين الشاة البيروتية
والشاة اليمنية والشاة البغدادية
والشاة المصريةْ..
والكلّ.. الكل غائبون
" تحسبهم سكارى وما هم بسكارى "
" يا حسرة على العباد "
" بأسهم بينهم شديد "
" تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى "
" خُشب مسنَّدة "
" أعجاز نخل خاويةٌ "
" الكل نيام.. وإذا ماتوا انتبهوا "
ماتوا بالسكين التتريةْ
في يد صهيون
تبت يده
بل تبت أيدينا المشلولةْ
فلقد حاربناه بسيوف إذاعات العرب الأمجاد
بسهام عيون مذيعات التليفزيون
بجيوش الصحفيين
يا أبطال معارك " عين جالوت " و " حطين "

* * *

نداء إلى السيد البدوي (*)

يا من حاربت جيوش الكفار
وأسرت الفجار
" خضرة " يخطفها كل يهود الأرض الأشرار
الوحش سيفترس الحسناء..
فلتطعنه يا قديس برمحك..
ولتسحقه بجوادك..
ولنقتله جميعا يا كل القديسين الأحياء..
يا كل الشرفاء..
فالوحش سيفترس الحسناء..
والدجالون يدقون له الطبل
كي يقتلها
كي يهدم أسوار مدينتكم
كي يطفئ نور الشمس..
كي يرمي في البحر القمح
ونحن نجوع..
فليطلق كل منا سهمه..
كي نقتل هذا الوحش الراقد في أرض فلسطين الشمَّاء
وله ألف يد
وله ألف رداء

* * *

(*) تم نشرها بمجلة المجلة - مارس سنة ١٩٧١.

الثورة وشِعب أبي طالب

" مكة " يخنقها الجبل المحزون...
والدور سجونْ.. الدور سجونْ
أتباع " محمد " منفيونْ
في " شِعب أبي طالب " مطرودونْ
لا يبتاعوهمْ..
تركوهمْ... ما بين دموعْ
وبكاء رضيعْ
تنهشهم أنياب الجوعْ
وضلوع تتكسَّرُ فوق ضلوع
لا شيء حواليهم غير الأشواك البرّيةْ
وأمامهم تمتد الصحراء الأبدية
و " صحيفة مكةْ "
قائمة فوق ستار الكعبة
سطرَّها شيبةْ
و " أبو جهل " و " عتبةْ "
تشهد بالظلمْ..
لكنّ غدًا ستمزقها الأيامْ
كل الكلمات ستأكلها القرضة
إلا كلمةْ:
اللهْ... اللهْ... اللهْ
وغدًا سيهبُّ الجوعى والبؤساءْ
من " شِعب أبي طالب "
من كل الأرجاءْ
المطحونون الشرفاءْ..
وسيرفع كل منهم سيفهْ
كي يقطع رأسك يا " شيبةْ "

رأس " أبي جهل " و " عتبة "
فالله سينصر من نصرهْ
حين يُطلُّ علينا الفجرْ
في " بدرْ "
وسيبقى نور الله.. أبد الدهرْ
كل الكلمات ستأكلها القرضهْ
إلا كلمهْ:
اللهْ... اللهْ... الله

* * *

النبي ﷺ يخاطب المشركين في مكة

وتهزؤون بي
لأنكم لا تفهمون
يا أيها المزيفون
دعوتكم إلى مباهج السماءْ
لكنكم فضلتم التراب والعفنْ
فضلتم الحياة في الكفنْ
وكيف أُسمعُ الذين في القبور.. مِّيتون
دعوتكم.. لكنكم أبيتم
يدي مددتها لكم.. بنور ربكم
فلم يبال واحد من بينكم
تساقطت أصنامكم
لأنها مزيفة.. لأنكم مزيفون
لأن في آذانكم وَقْرًا فلستم تسمعون
* * *

هكذا تكلم " بلال "

" مكة " صحراءٌ حارقةٌ يخنقها الصمتْ
وظلال الموتْ
وطيور الأحزان تحط عليها
تخفض أجنحة الذل على أتباع " محمدْ "
وبلالْ.. يضربه الجلاَّدْ
فلا تسمع غير الآهاتْ
والصخرة فوق الصدرْ
ودماء جروح تتفجرْ
تختلط بحبات العرق المُجهدْ
و " أمية " يصرخْ: - أكفر بإله محمدْ
والعُزَّى فاعبدْ
لكنّ بلال يرددْ:
- اللهُ أحدْ.. الله أحدْ
- أسجدْ للاَّت وللعُزّى ومناهْ
- كلا.. لن أسجدْ
لن أسجد إلا للهْ
خنقوا في فمه الآهْ
لكنْ ظل يرددْ: - اللهْ... اللهْ...
اللهْ أحد
- الكل سجدْ
فلتسجد أنتْ.. فلتسجدْ
- كلاّ... كلاّ
سأظل أقول أنا لا
حتى لو قال: لكم نعمْ
سأظل أُحطِّم كل صنمْ
- سنريك عذاب جهنمْ

حتى ترتدّ
- لن أحني الرأس ولن أركعْ
لن تبصر في عيني الدمعْ
- أسجدْ للأوثان
سنريك عذابًا لم يشهده إنسٌ أو جانْ
- فلتقذف بي في ظلمات السجنْ
وليخنقني السجَّانْ
اطردني خارج " مكة " منذ الآن
وعلى أبواب الحيّ اجلدني
علقني فوق ديارك كي ينهشني الطيرْ
اصلبني فوق الأشجارْ
اربطني خلف الأسوارْ
وليرجمني أتباعك بالأحجارْ
اقذف بي في لهب النارْ
اقذف بي في أعماق البحرْ
انزلني في ظلمات القبرْ
لكن لن أسجد لحجرْ
لن أرتدْ
الله أحدْ.. الله أحدْ.. الله أحدْ..
أحدْ.. أحدْ.. أحدْ..

* * *

حادث " الطائف "

" الطائف " بستان وسط الصحراءْ
لكن تملأه أزهار الشر
ويحوم حواليه في كل مساءْ
طير مجهول
[أبابيلَ.. أبابيلْ]
يبغي قذف الفجَّارْ
بأحجارٍ من سِّجيلْ
ورسول اللهْ
يمضي وحدهْ
في طرقات الطائفْ
تلتف به أشْباح الغربةْ
يدعو أبناء " ثقيف " لدين اللهْ
لكن الكُلّ
أعرض عنهْ
أنكره الكلّ
ومضى تكسوه أردية الخوفْ..
والذلّ
تتألم في جبهته حبات العرق وحبات الرملْ
سفهاؤهم لعنوه.. وسبّوهْ
حتى الأطفالْ..
بحجارتهم قذفوهْ
حتى دميت قدماهْ
فتحامل حتى استند إلى حائط بستانْ
والدمع احتبس بعينيهْ
قال لربِّهْ:
[اللهم إليك أشكو ضعف قوتي
وقلة حيلتي
وهواني على الناس

يا أرحم الراحمين
أنت رب المستضعفين]
فإذا بنخيل " الطائف " يجثو حوله
ليقول له: آسفْ
ونسيم " الطائفْ "
يهمس في أذنيه: آسفْ
حتى الظلّ الممتد إليهْ
يغطي بيديه رأسَهْ
قال له: آسفْ
حتى وقع الأمطار على الصخرة
قال له: آسف..
الريح العاصف.. والرعد القاصف.. قال له: آسفْ..
كل الأشجارْ.. كل الأطيارْ
كل الأزهارْ.. حتى الأحجارْ.. في طرقات الكُفَّارْ
الكل يقول له: آسفْ
إلا أهل الطائفْ
وإذا صوت قد رنَّ صداه خلف الأفق:
- انهض.. لا تحزن.. وحذار.. حذار
أن يسقط منك الأمل
وأن ينكسر الحلم وينهارْ
فغدا يصحو البركان
غدا سيهب الإعصارْ
غدا ستقام لكم في " الطائف " أقواس النصرْ
غدا يحملُ أهلُ " الطائف " شمسَ اللهْ
لتضيء ظلامَ الدنيا.. بضياء الوحدانية..
* * *

ما بعد الهجرة . . .

الليل على ظهرك تحمل جثتهُ
وتجرجر قدميك الداميتين
ورجال قريش في دارادْكْ
يبغون دمكْ
و " سراقةٌ " يعدو خلفكْ
ومسيلمةٌ الكذّاب يشوِّه وجهكْ
لكن لا تهربْ في صمت الصحراءْ
ولتخرج من غار " حراءْ "
ولتجمع كل الرفقاءْ
ولترفع سيفكْ
فالرمل ابتلع جواد " سراقهْ "
ولسوف يموتُ مسيلمة الكذاب
ما دام بقلبك نور اللهْ
وفي الكف السِّكين
فلنشعل نيران الثورة
بدلاً من أحزان الهجرة
وسيأتي الفتحْ
ويعود إلى " مكة " كل المطرودين
كل المطرودين
سوف يعودون

* * *

كلمات النبي في غزوة أحد (*)

ولتحملوا السيوف أيها الرفاق
بعد ما تحطمت
ولترفعوا الرايات بعد ما تمزقت
ولتتركوا أجساد موتاكم
فما هم ميتون
ولتنظروا.. نبيكم جرح
يا أيها الرجال
لا تتركوه وحده على الرمال
فمن لهيب الجرح
نشعل الحرف
وفي صليل السيف
أغنيات الانتصار

* * *

(*) تم نشرها بمجلة المجلة - فبراير سنة ١٩٧٠.

ثورة الشهداء في غزوة أحد (*)

الجبل المهزوم يضجّ
أوشك أن ينهد
ورمال الصحراء ارتعشت بالأحزانْ
جثث الشهداء انتفضتْ
واستيقظت الأشلاءْ
تنزفْ
والدمُ ليس يجفْ
كل منهم يسكر نعشهْ
يهدم قبرهْ
يصرخ في كل الأرجاءْ:
- ما كنا يومًا جبناء
كان النصرُ عرائس ترقص عند الأفق
لكن حين نسينا قول رسول الحق
كان أمامَ العين ضبابْ
كان دخانْ.. كان سرابْ
ثمَّ.. ثمَّ
لسنا ندري... لسنا ندري
موتى نحن ولكن دون قبور
لسنا ندفن أبدا.. أبدا
والدم ليس يجف
حتى يأتي البعث فتنهض للأعداء غدًا
* * *

(*) تم نشرها بمجلة الثقافة - يونيو ١٩٧٤.

عمر بن الخطاب ومفتاح القدس

يا صهيوني.. قف
الزمن اختلف
الزمن الآن
دار كهيئته يوم " صلاح الدين " و " حطّين "
يوم " اليرموك " و " أجنادين "
مهما هدَّمت فسوف تُهدَّمْ
فتقدم..
سيفك يطعنك
ورمحك يلعنك.. وسهمك في صدرك
نعشك طائرتك
قبرك دبابتك
وثوبك كفنك
فتقدم
فستغرق في بحر الدم
فتقدم
إن شئت إلى " بيروت "
فهنالك " عين جالوت "
ستموت.. ستموت
يا " هولاكو ".. يا جند الطاغوت..
وخيول العرب ستصهل في " تل أبيب "
وسيأتي " عمر بن الخطاب "
كي يأخذ مفتاح " القدس "
ليقيم لنصر الإسلام العُرس
كي يرفع رايات الله على أبواب فلسطين

* * *

مذكرات عائد بعد الغزو الإسرائيلي للبنان

وحين رجعتُ
رأيتُ حوائط الدخان
تسدُّ أمامنا الطرقات
وعن أهلي
أفتش تحت خرائب الأنقاض والوحل
فلم أبصر لهم ذكرا
وعن بيتي
سألت الناس والأشجار والحجرا
فلم يجدوا له أثرا
فخلف الصمت والظلمات
خلف الموت
لم يبق سوى الأطلال والذكرى
* * *

حوار مع " ابن قيم الجوزية "

[لابن قيم الجوزية رسالة عنوانها الغربة والاغتراب..]
[ولد الإسلام غريبا
ويعود كما بدأ غريبا]
لا يجد حبيبا
غرباءْ
غرباء نحن كما قلت ويعصرك الهمّ
يا بن القيِّمْ
غرباءْ.. غرباء وسط الصحراء
نمسك في أيدينا الجمر
نتجرع دمعات ألـمْ
وعلى بوابات جهنمْ
الكل تزاحمْ
يسجد لصنمْ
عبد الدينار وعبد الدولار
وعبد الدرهمْ
قل لي يا شيخي يا بن القيّمْ
أين الحلمْ؟
كيف يكون خلاص القومْ؟
قاطعني الشيخ وتمتمْ
- آهْ
رفع عصاهْ
قال الشيخ وغمغمْ:
- اللهْ.. اللهْ.. اللهْ

* * *

تحية إلى كوسوفا

أحييكمْ..
أحي شعبك العملاقْ.. كوسوفا أحييكمْ
وأحمل قلبي المشتاقْ.. على كفي يحييكمْ
ونحملكم على الأعناقْ.. إجلالاً ونفديكمْ
أطلت شمس كوسوفا على الآفاقْ.. تناديكمْ
لنور الله تدعوكمْ
سأصنع من دمي كلماتْ.. تحييكمْ
وباقات من الأزهارْ.. أهديكمْ
" مُرادْ " أيها السلطان لا تحزن على ما فات
من دمع ترقرق في مآقيكم
ولا تحزن على ما سال من دم أبنائك في أراضيكم
فها هي راية الإسلام تعلو في روابيكمْ
يد الثوار قد دقت على بوابة الأقدارْ
فانفتحت لكم بالنصر يا أحرارْ
يا أحرار كوسوفا أحييكمْ.. أحييكمْ..
* * *

كوسوفا والبوسنة والهرسك

ضاعت من أيدينا المشلولهْ
أحلام الأندلس المفقودهْ
واليوم تضيع كوسوفا والبوسنة والهرسك
فتحسس رأسكْ.. تحسس رأسكْ..
فالقادم نحوك
جنكيزخان وتيمورلنكْ

ارفع سيفكْ
أشرب كأس الموت فلست تموتْ
وستبعث في " عين جالوتْ "
وليستيقظ " قطز " و " بيبرس " و " أيبكْ "
وصلاح الدينْ
ساعتها سوف تكون لنا " حطّينْ "
فالقادم خلفك
جيش صليبينْ
إن هادنت لسوف تهونْ
في هذا الزمن المأفونْ
زمن الفرعون وقارونْ
زمن ثمود
وعاد ولوط وأصحاب الأخدودْ
الدرهم معبود
والمسلم مطرودْ
فارفع سيفك

فالقادمُ نحوك جيش الرومْ
وا إسلاماهْ
وا معتصماهْ
وا " بوسناهْ "
السيف أصدق أنباءً من الكتب
فارفع سيفك
فالقادم خلفك
جيش الأفرنجْ
واتحدوا يا كل ملوك طوائفنا
واجمعهم يا " يسوف بنْ تاشفين "
في " الزلاَّقة "... فالزلاَّقةْ
ما زالت ترنو مشتاقةْ
لسيوفكم البراقةْ
ولنضرب " ألفونسو " الملعونْ
ساعتها سوف يعود الفردوس المفقودْ
* * *

شتاء كوسوفا

كان لنا في " كوسوفا " دارْ
وصغارْ
يجرون وراء فراشات حديقتنا
ويغنون مع الأطيارْ..
كنت أحب شتاء " كوسوفا "
أجلس والمدفأةُ
أصابعها الساخنة تلف على جسدي ألف دثارْ
أرشف كوب الشاي الحارْ
أتأمل خلف زجاج جدارْ
خطوات السحب الهادئة ووقع الأمطارْ
تغسل أوراق الأشجارْ
وخدود الأزهارْ
لكن شتاء " كوسوفا " الآن
شتاء الأحزان
قلب موجوع
يحترق بنيران ضلوع
أشعل أعداء الله بها النيرانْ
ما عادت غير خرائب ودخانْ
يخنقها الموت
ومضيتْ
وسط الغابات
وسط الظلمات
أعدو.. أترنح
أسقط وسط الأوحال
ومعي يسقط أشلاء بشر
وكأنا نخرج من فوهة القبر

يوم الحشر
أشباحًا تائهةً.. ضائعةً.. ذاهلة
وسط الأمطار
وسط الإعصار
برق ورعوdْ.. وحصارْ
خلفي يحترق الفردوس المفقودْ
وأمامي صحراء المنفى الأبديةّ
صحراء جليديةّ
وسط جبال وصقيع
يخنقنا الجوع
نصرخ.. نحن المطرودين.. لا ندري أرحلنا
أم رحلت عنا " كوسوفا " كالطّيفْ
كرحيل الضيفْ
كسحابة صيفْ
كانت حلما واحترق الحلم
نصرخ وسط دماء وجروح
ويضيع صدى صرختنا خلف الريح
وسط الأمطار
كان لنا في كوسوفا دار..
* * *

نداء إلى الشهيد " جعفر بن أبي طالب "

" جعفرْ "
الطائر في الجنة بجناحينْ
استيقظ يا جعفرْ
وانفض عنك الأكفانْ
لا تحزنْ
وارفع سيفكْ
إن كانوا في " مؤتة " قتلوكْ
فالآنْ
دقت أجراسُ النصرْ.. في اليرموكْ
أعبر صحراء اليأس إلى واحات النصرْ
اضرب بعصاك البحرْ
واحمل في الكف رصاصْ
ينشق البحرُ طريق خلاصْ
لا تحزنْ يا جعفرْ
إن قطعوا أذرعك بمؤتة
لا تنظر أسفل قدميكْ.. نحو ذراعيكْ
بل حلقِّ بجناحيكْ
وانظرْ نحو الأفقْ.. انظرْ
فهناك جيوشُ الروم سندفنها في الصحراء العربيةْ
سترفرف راياتُ الإسلام على أبراج القسطنطينيةْ
وخيول " قريش " ستصهل شامخة في " إشبيلية "
وغدا سيجول السلطان " مراد " بجيش اللهْ
في طرقات " كوسوفا " و " البوسنةْ "
سيدقُّ السلطان " محمدْ "
سيدق بقبضته الإسلاميةْ
أبواب " فيينا "

* * *

أسبحك . . .

أسبحك.. أسبحك.. أسبحك
إذا ما الصباح تنفس
إذا الليل عسعس
أسبحك
إذا الفجر لاحْ
وتصحو الطيور وتشدو الرياحُ
بحمدك
أسبحك
إذا النور غاب
وراء السحاب
وحين يغيب الشفقْ
وراء الأفقْ
أسبحك
فحتى النجوم وحتى الشجرْ
وحتى السماءُ وحتى الحجرْ
وحتى البحارْ
وحتى الجبالْ وحتى القمرْ
يسبحك
فكيف بقلبي الذي قد خلقت ليسجد لك
فكيف به لا يسبحك
وكل الوجود يسبحك
أسبحك.. أسبحك.. أسبحك

* * *

أصلي عليك

أُصليِّ عليك
أصلي عليك
حنينا وحبا وشوقا إليك
ولـمْ لا يحبك قلبي
وأنت الذي قد أحبك ربي
وقال بأنك خير الأنام
وإنك حين تنام
فقلبك ليس ينام
وحين تصوم
يُطعمك الله دون طعام
أحبَّك حتى الشجر
أحبك حتى الحصى والحجر
أحبك حتى الذي قد كفر
فكيف بقلبي الذي ذاب شوقا إليك
ويبكي حنينا إليك
ويهفو لألمس شباك قبرك
حين أحج لديك
وأصبح بين يديك
أصلي عليك.. أصلي عليك

* * *

إبتهالات . . .

ســـألتك يـــا إلهـــي كـــل خيـــر
ومـــن يـــا رب أســـأله ســـواكا
فقيـــر يرتجـــي طمعـــا نـــداكا
وهل في الكون أعظم من نداكا
هـــواك هـــواك يغمرنـــي هواكـــا
وقلبـــي ذاب شـــوقا فـــي هواكـــا
رضاك رضاك يا ربي رضاكا
وهل ستصدُّ من يبغي رضاكا
ذنوبي كالجبال قصمن ظهري
وهـــل ســـيزيلها إلا يـــداكا
دعوتـــك يـــا إلـــه الكـــون دومـــا
وهـــل ســـترد يومـــا مـــن دعاكـــا
* * *

كتب صدرت للمؤلف

- مأساة المعتمد بن عباد - مسرحية شعرية	مكتبة جزيرة الورد
- أبو زيد الهلالي سلامة - مسرحية شعرية	مكتبة جزيرة الورد
- البعث - مسرحية شعرية	الهيئة المصرية العامة للكتاب
- مختصر سيرة ابن هشام	كتاب المختار الإسلامي
- مختصر الحروب الصليبية	كتاب المختار الإسلامي
- مختصر أسد الغابة - لابن الأثير	مكتبة جزيرة الورد
- مختصر فتح الباري	دار التقوى
- ملامح الإسلام	مكتبة جزيرة الورد
- قاموس ألفاظ الأحاديث النبوية	مكتبة جزيرة الورد
- ملامح الفكر الأوروبي المعاصر	كتاب الهلال
- ملامح الأدب السعودي	الهيئة الحصرية العامة
- الحركة الشعرية في السعودية	مكتبة مدبولي
- شاعر الخليج	الدار المصرية اللبنانية
- منظومة الرؤية الإبداعية	المكتب المصري الحديث

* * *

الفهرس

كلمات الإمام الغزالي في محنة الشّك ٣
إبراهيم يبحث عن الله ٤
البحث عن أب ٥
محنة الشاعر " امرئ القيس " ٧
مذكرات مؤمن في " سادوم " ٨
مأساة " الحاكم بأمر الله " ١٠
سندباد في مدينة النحاس ١١
في انتظار صلاح الدين ١٢
إسرافيل.. ١٣
حوار بين يوسف وفرعون.. ١٤
يعقوب يحدثنا عن يوسف ١٥
توبة " عبد الله بن أبي سرح " ١٦
الطريق إلى مكة ١٨
سفينة " نوح " ٢٠
اعترافات " سندباد " ٢١
أهل الكهف ٢٢
يأجوج ومأجوج والمهدي المنتظر ٢٤
الجنة تحت ظلال السيوف ٢٥
عمرو بن العاص.. ٢٦
" رابعة العدوية " في طرقات البصرة.. ٢٧
العودة إلى مكة.. ٢٨
نداء إلى السلطان بيبرس.. ٣٠
نداء إلى السيد البدوي.. ٣١
الثورة وشِعب أبي طالب.. ٣٢
النبي ﷺ يخاطب المشركين في مكة ٣٤
هكذا تكلم " بلال " ٣٥
حادث " الطائف " ٣٧
ما بعد الهجرة.. ٣٩
كلمات النبي في غزوة أحد ٤٠
ثورة الشهداء في غزوة أحد ٤١
عمر بن الخطاب ومفتاح القدس.. ٤٢
مذكرات عائد بعد الغزو الإسرائيلي للبنان ٤٣
حوار مع " ابن قيم الجوزية " ٤٤
تحية إلى كوسوفا.. ٤٥
كوسوفا والبوسنة والهرسك.. ٤٦
شتاء كوسوفا.. ٤٨
نداء إلى الشهيد " جعفر بن أبي طالب ".. ٥٠
أسبح لك.. ٥١
أصلي عليك.. ٥٢

ابتهالات ٥٣
كتب صدرت للمؤلف ٥٤
الفهرس ٥٥

* * *